Intertextuality in the Book of Chapters and Objectives in Glorifying God and the Exhortations of Abu Al-Alaa Al-Maari (449 AH)

Zainab Mahdi Jawad
Prof. Dr. Luma Faeq Jamil Al-Ani
Luma.faeq69@gmail.com
University of Baghdad / College of Arts - Department of Arabic Language

DOI: 10.31973/aj.v2i138.1753

Abstract:

It is one of the important textual criteria adopted by Abu Ala; As intertextuality had an effect on the recipient in creating a special atmosphere for the ends, Abu Ala 'used intertextuality, in its direct and indirect types, and religious intertextuality was the dominant one over the other types of intertextualities, especially with the Holy Quran.

Keywords: intertextuality, Abu Al-Ala Al-Maari, religious intertextuality, the Holy Qur'an.

التناص في كتاب الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ لأبي العلاء المعرّي (ت ٤٤٩هـ)

الباحثة زينب مهدي جواد
جامعة بغداد / كلية الآداب– قسم اللغة العربية

أ. د. لمى فائق جميل العَاني
جامعة بغداد / كلية الآداب– قسم اللغة العربية
Luma.faeq69@gmail.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

وهو من المعايير النصيّة المهمة التي اعتمدها أبو العلاء؛ إذ إنَّ التناص كان له تأثير لدى المتلقي في إضفاء جوٍّ خاص للغايات، فاستعمل أبو العلاء التناص بنوعه المباشر وغير المباشر، وكان التناص الديني هو المسيطر على باقي أنواع التناص، ولاسيما مع القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: التناص، أبو العلاء المعري، التناص الديني، القرآن الكريم.

- **التناصُّ لُغةً:**

وهو ((من قولهم نصَّصْتَ المتاعَ إذا جعلت بعضه على بعض. وكُلّ شيء أظهرته، فقد نَصَّصْتَه)) (ابن منظور، دون تاريخ: ٢٧١/١٤ مادَّة نصص) (Ibn Manzur, Without

date: 14/271 text material)، فالمعنى اللُّغوي لمادة (نصَّ) يدور حولَ الرفع والظهور.

وجاء في تاج العروس وتناصَّ القومَ بمعنى ازدحموا (الزبيدي، دون تاريخ: ١٨ / ١٨٢) (Al-Zubaidi, Without date: 18/182)، ودلالةُ هذا الكلام تتفق مع معنى التناص؛ إذ بيّن مُحمَّد بنيس أنَّ التناصَّ عبارةٌ عن شبكةٍ أو وعاءٍ يحتوي عدّة نصوصٍ متداخلة (بنيس، ١٩٨٥، ص٢٥١) (Bennis, 1985, P251)، ومن صورِ إلتقاء المعنى اللُّغوي مع الاصطلاحي. وورد في القاموس المحيط (حيّةٌ نصناص)؛ بمعنى كثيرةُ الحركةِ (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥، ص٦٣٣، مادَّة نصَّ) (Al-Fayrouzabadi, 2005, P633, text material)، وهذا يتلاءم مع ما جاءت به جوليا كريستيفا، حين بيَّنت أنَّ النصوصَ في حركةٍ مُستمرةٍ، فهي ترحالٌ وتداخل (كريسطيفا، ١٩٩١، ص٢١) (Crestiva, 1991, P21).

• **التناصُّ اصطلاحًا:**

كما لاحظنا أنَّ التناص هو حركة وانتقال، فمن طريق هذه الحركة نفهم بأنَّ التناصَ يُسهم في تجدِّد النصوص وإحيائها، سواء أكان نصًّا نثريًّا أم شعريًّا، لأنَّ الذي يطَّلِعُ على النصوصِ الأدبيَّةِ يلاحظ معالمَ بارزةً لقراءاتٍ سابقةً فيه، فالشاعر أو الكاتب لا بُدَّ له من سلكِ مسارٍ يحذو فيه مسارَ نصوصٍ سابقةٍ عليه (الغذامي، ١٩٩٨، ص٣٢١) (Al-Ghadhami, 1998, P321).

فالتناصُّ عبارةٌ عن فسيفساءَ متكونةً من مجموعةِ نصوصٍ، امتزجت فيه بتقنيّات مختلفة (مفتاح، ١٩٨٥، ص١٢١) (Miftah, 1985, P121).

فهو وسيلة ربطٍ تربطُ بين النصِّ المعاصرِ وغيره من النصوصِ السابقة، فيُعدُّ جسرًا للوصل بين هذين النصّين في عصرين مختلفين، وبالتأكيد فإنَّ النصوص السابقة هي أكثرُ تعقيدًا من النصِّ الحديث (بنيس، ١٩٨٥، ص٢٥٢) (Bennis, 1985, P252).

فإنَّ كُلَّ نصٍّ هو في أساسِه حوارٌ لنصٍّ أو مجموعة نصوص سبقته أو مزامنةً له (ناهم، ٢٠٠٤، ص٣٤) (Nahm, 2004, P34)، وهذا يدلُّ على أنَّ التناصَّ هو تداخلُ النصوصِ مع بعضها البعض لكن بكيفياتٍ مختلفة (مفتاح، ١٩٨٥، ص١٢١) (Miftah, 1985, P121).

وقد حدَّد محمد مفتاح نوعين من التناص هما: المحاكاة الساخرة (النقيضة)، والمقتدية (المعارضة) (مفتاح، ١٩٨٥، ص١٢٢) (Miftah, 1985, P122). وتكمن أهميَّةُ التناصِّ في أنَّ العمل الأدبي يُدرَكُ بعلاقتِه مع بقية الأعمال الفنيَّة الأُخرى (طودوروف، ١٩٨٧، ص٤١) (Todorov, 1987, P41).

وترافقت مع التناص مُصطلحات عدّة منها: (الأدب المقارن والمثاقفة ودراسة المصادر والسرقات) (مفتاح، ١٩٨٥، ص١١٩) (Miftah, 1985, P119).

ولم تغفل العرب القدماء عن هذه القضيّة، فقد عبّروا عن التناص بـ (السرقة) (العسكري، دون تاريخ، ص٢٢٥) (Military, Without date, P225)، و(التضمين) (الأزدي، دون تاريخ: ٨٤/٢) (Al-Azdi, Without date: 2/84)، و(الإحتذاء) (الجرجاني، دون تاريخ، ص٤٦٨) (Al-Jurjani, Without date, P468)، و(الاقتباس) (الهمذاني، دون تاريخ، ص٥٣٩) (Al-Hamzani, without date, P539).

فلا بُدَّ من وجود نصٍّ يكون حاضرًا فيه جزءٌ أو مقطعٌ من نصٍّ آخر، فهو عمليةُ استبدالٍ بين نصَّين على المستوى اللفظي والمستوى المعنوي معًا (هاينهمن، وفيهفيجر، ١٩٩٩، ص١٠٠) (Heinehmann, and Weheveiger, 1999, P100). والتناص أمرٌ شائكٌ، وغير محسوم؛ وله أشكالٌ ومصطلحاتٌ عديدة كما رأينا.

إذ إنَّ أي مؤلِّف لا بُدَّ من أنْ يكون قد اختزل نصوصًا عبر مسيرته الثقافية، أدَّت إلى إنتاج نصوصٍ جديدة (الآن، ٢٠١١، ص٥٥) (Alan, 2011, P55).

فالتناصُّ مهمٌ لمنتجِ النصِّ وللمتلقي في فهم النصوص القديمة والجديدة؛ إذ ((يعيد الجديد تعريف القديم ويمكّننا من رؤيته في ضوءٍ جديد، ثم ما يلبث هذا القديم الذي أُعيدت رؤيته أنْ يكشفَ لنا عن بعضِ ما في الجديد من أبعادٍ إضافية)) (ناهم، ٢٠٠٤، ص٨٢) (Nahm, 2004, P82).

التناصُّ في الفصول والغايات:

ظهر التناص بشكلٍ واضحٍ عند المعري؛ إذ ظهر جليًّا أثرُ القرآن الكريم في فصوله وعباراتِه وألفاظهِ، فكأنّه استقى عباراتَه ورتبَّها كما في القرآن الكريم، لذلك اتهمه البعض بكل تلك الاتِّهامات التي تعرَّض لها الكتاب.

ويُقسم التناص من حيث المتناص معه إلى نوعين:

١. **النوع الأول: (التناص المباشر)**: وهو التناصُّ الواضحُ السهل؛ إذ يتعرَّف القارئ عليه من دون عناء، فيقوم منتج النَّص باجتزاء قطعةً من نصٍّ مشهور، ويضعها في نصِّه الجديد، بصورةٍ تتلاءم وموضوع النَّص (شبل، ٢٠٠٧، ص٧٩) (Shabal, 2007, P79). ويخضعُ هذا النوع لقانون التناصّ (الاجترار)، ويكون هذا القانون بتكرار النصوصِ القديمة من دون تغيير، أو يكون هناك تغييرٌ طفيفٌ نظرًا لقداسة ذلك النص (ناهم، ٢٠٠٤، ص٤٣) (Nahm, 2004, P43)، وأمثلة هذا النوع كثيرة في (الفصول والغايات)، منها:

١. قال المعري: ((فَإيَّاكَ وَذَوَارِعَ الخَمْرِ)) (المعري، دون تاريخ، ص٣٦٩) (Al-Maari Without date, P369)، هنا المعري يحذِّر من شرب الخمر، واقتبس هذا التحذير من

قولـه تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

المعري هنا غايته نصحُ المتلقي ، فأرادَ أن يبيّنَ حرمةَ الخمرِ وذلك بألفاظ تشبه ألفاظَ القرآن الكريم لأجل أنْ يتَّعظَ المتلقي ، وأختار هذه الآية لأنَّ الله يحذر وينهى عن شربِ الخمر، والمعري كانت له الغايةُ نفسها ، وهذه الآية ذات وقع على نفس المتلقي ؛ لأنَّ قوله : (رجسٌ مِّن عمل الشيطان) يقصد ((أنَّها نجسة العين)) (الشنقيطي ، دون تاريخ: ٣٧/١) (Al-Shanqeeti Without date: 1/37)، فأراد المعري أنْ يصوِّر للمتلقي التصوير نفسه ؛ لأنَّ ((الرجس هو المستقذر الخبيث)) (الشنقيطي ، دون تاريخ: ٣٧/١) (Al-Shanqeeti Without date: 1/37).

٢. قال المعري : ((فَطُوبَى لِلْقَوْمِ غَبَرُوا رُكَّعًا وسُجَّدًا)) (المعري، دون تاريخ، ص٤٢٦) (Al-Maari Without date, P426)، وقد اقتبس المعري أغلبَ ألفاظِه من قوله تعالى : ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾[الفتح:٢٩].

ومعنى الاقتباسُ ((هو أنْ يضمّن المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من آيات كتاب الله)) (الهمذاني، دون تاريخ، ص٥٣٩) (Al-Hamzani, without date, P539)، فضمَّنَ المعري (ركعًا سجدًا) من الآية الكريمة ، واختار المعري هذه الآية على وجه الخصوص ؛ لأنَّه أراد أنْ يبيّنَ أنَّ فضلَ الطاعةِ لله بالركوع والسجود ، سيُكسب الطائعين فضلًا كأنَّهم من أصحاب الرسول مُحمَّد (صلى الله عليه وآله) ، فالله تعالى ميّز اتباع النبي بعدّة ميّزاتٍ منها إنَّهم (ركعًا سجدًا) فاشترك النصّان بالمعنى نفسه ، وكأنَّه استنسخه من القرآن لكن بتغيير طفيف.

وكذلك نلاحظ اقتباسه للفظة (طوبى) من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾ [الرعد: ٢٩]. فجزاء هؤلاء الراكعين

الساجدين، أجرًا عظيمًا ومكافأتهم في الآخرة في الجَنَّةِ، فـ (طوبى) هي التي دلَّت على هذا الأجر والجزاء العظيم؛ لأنَّ قيل في معناها هي شجرةٌ في الجنَّة أو الجنَّة نفسها (ابن منظور، دون تاريخ: ١٦٩/٩) (Ibn Manzur, Without date: 9/169).

٣. قال المعري: ((فَأَطْلُبْ رِزْقَ رَبِّكَ لِتُصِيبَ سَدَدَا)) (المعري، دون تاريخ، ص٤٢٥) (Al-Maari Without date, P425)، نلحظ في قوله تناصًّا مع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧].

فاشترك النصّان بتوجيه المتلقي لطلبِ الرزقَ من اللهِ وحدَه، وكان نصُّ المعري متأثِّرًا بالآية الكريمة من حيث صيغة الأمر التي أمر بها الله عباده، لكنَّ المعري وجّه خطابه بصيغة المفرد؛ أي إلى شخص مفرد ويقصد به كُلَّ من يقرأ نصَّه، فهذا تناصٌّ مباشرٌ وواضحٌ للمتلقي.

٤. قال المعري: ((فَإِنَّ اللهَ لَا يُضَيِّعُ أحدًا)) (المعري، دون تاريخ، ص٤٢٧) (Al-Maari Without date, P427)، فالتناص مع قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران:١٧١].

يجترُّ المعري المعنى من الآية القرآنية، فأراد أنْ يُدَّعم رأيَه فاقتبسَ من القرآن، وجاءت العبارةُ بأغلبِها شبيهةً بالنصِّ القرآني.

٥. قال المعري: ((فَسُبْحَانِ اللهِ رَبًّا)) (المعري، دون تاريخ، ص٤٧٤) (Al-Maari Without date, P474)، وهذا تناصٌّ مع قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[النمل:٨].

وهذا تناصٌّ مباشرٌ وصريحٌ، وهذه دعوةٌ صريحةٌ للتسبيحِ، فأهمُّ ما جاء في الكتاب هي الدعوة لتسبيحِ وتنزيهِ الله تعالى، فأكَّد كلامه بتضمين التركيب نفسه (فسبحان الله).

٦. قال المعري: ((وَابْتَنِي مَنْزِلًا فِي الآخِرَةِ فَإِلَى اللهِ المَالُ)) (المعري، دون تاريخ، ص٢٢٠) (Al-Maari Without date, P220)، ففي النص اقتباسٌ من الآية الكريمة: **﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ﴾** [آل عمران: ٢٨].

فاقتبس المعري ألفاظ الآية ليضمِّنها نَصَّه، مع استعمال الكلمة المرادفة للمصير وهي (المآل)، ليبين أنَّ آخرةَ الإنسان هي إلى الله تعالى، فمن يريد أنْ يعملَ فليعملَ لآخرته وليس لدينا، وجاء بالدليل من القرآن الكريم نفسه ليقوّي كلامَه ويدعمه.

٧. قال المعري: ((وَقرِيبٌ عِنْدَ اللهِ ذَلِكَ البَعِيدُ)) (المعري، دون تاريخ، ص٢٩٥) (Al-Maari Without date, P295)، وفيه تناصٌّ مع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ – ٧].

تناصٌّ مباشرٌ سهلٌ ومفهومٌ لدى المتلقي، فأخذَ الآيةَ كاملةً صنعها نصًّا جديدًا، لكنّها تحملُ صورةَ الآية في الشكل والمضمون.

٨. قال المعري: ((وَمَنْ يَعْصِ اللهَ فَلَيْسَ برَشِيدٍ)) (المعري، دون تاريخ، ص٢٩٥) (Al-Maari Without date, P295)، وقولُه متناصٌّ مع الآية في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب: ٣٦].

أشار المعري إلى أنَّ العاصي فاقد طريقَ الرَّشادِ وهو معناه قد أضل الطريق، طريقَ الحق، وهذا ما بيَّنه الله تعالى في الآية الكريمة أنَّ العاصي ضلَّ الهدايةَ، باقتباسه جعل لنصِّه قدسيةَ ووقعًا على السمعِ وتأثيرًا أكبر؛ لأنَّها كانت ختامُ غايتُه، فلا بُدَّ أنْ يؤكِّدها بكلامٍ من القرآن الكريم.

٩. قال المعري: ((أَسْتَعِينُ اللهَ القديرَ، فإنَّ المرْءَ الصَّمَّدَ رُبَّما أذَلتهُ النَّكَبَاتُ حتَّى يَحْسِبَهُ اللَّبيبُ أحَدَ ضِعَافِ العامَّةِ)) (المعري، دون تاريخ، ص٣١٨) (Al-Maari Without date, P318)، فأوَّل ما يلفت انتباه القارئ هو لفظة (الصمد)، والتي اقتبسها من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص: ٢]، واستعملها المعري للمرءِ، وتفرّد في استعمالها، فمعنى الصمد ((السَّيِّدُ المُطاع الذي لا يُقضى دونه أمر)) (ابن منظور، دون تاريخ: ٢٨٠/٨) (Ibn Manzur, Without date: 8/280).

فهذا الإنسان الذي له سيادَتَه وعلوِّ مكانته ويُشار في أُمور الحياة، قد تضعفه النكبات وتذله وتقلِّل من شأنِه، فاستعمال لفظة (الصمد) أعطتْ صورة وافية عن الشخص الذي أراده المعري واختزلت كُلّ صفاتِه.

وفي النص تناص مع آية أُخرى فقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

فالمعري يستعينُ باللهِ وقتَ النكباتِ، وهذا المعنى يتلاءم مع معنى الآية؛ إذ كان النبي موسى (عليه السلام) يدعو قومه للاستعانة بالله، فالتناصُّ عند المعري ليس فقط عباراتٍ فخمة، بل كان اختياره للآية لغايةٍ، وهي ذات معنًى مقارب لنصِّه.

١٠. قال المعري: ((رَبَّ الجُونِ واللَّجُونِ وَالْبَدْرِ المَسْجُونِ، حتَّى يَعُودَ كَالْعُرْجُونِ)) (المعري، دون تاريخ، ص٣٤٨) (Al-Maari Without date, P348)، فهنا نرى ملامح الآية القرآنية: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].

فالمعري ذكر منازلَ القمرِ ومراحلَه، وهذا جاء مُطابقًا لمعنى الآية، وتقصَّد بذكرِ الألفاظ التي وردت في الآية، لتقوي النَّص ولسهولةِ فهم الغاية؛ لحفظ القارئ للآية الكريمة، فيتعرَّف المتلقي على المعنى من دون عناء.

١١. قال المعري: ((إسْتَعِنْ بذكر الله أيُّها اللِّسَان، وشَفَتَاك في بَطْنَي طائِرَيْن، وأنت تَنْتظِرُ أنْ يَمْتَلِخَكَ ثالثٌ، فذكرُ اللهِ مِنَ السَّعَادة)) (المعري، دون تاريخ، ص٧٦-٧٧) (Al-Maari Without date, P76-77)، هنا يتناص مع قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد٢٨].

فاقتبس عبارة (ذكر الله) ووظَّفها في نصِّه؛ ليبيَّن للإنسان مهما كان في شدَّةٍ فإنَّ ذكر الله هو السعادة، وهذا المعنى مقاربٌ لمعنى الآية التي كان مفادها هو ذكر الله، فهو الاطمئنان، وحين تطمئن القلوب يكون الإنسان في سعادة وهذا ما أراد المعري إثباته.

١٢. قال المعري: ((لا آيَسُ مِنْ رَحْمَة اللهِ وَلَوْ نَظَمْتُ ذُنُوبًا مِثْلَ الجِبَالِ سُودًا)) (المعري، دون تاريخ، ص١٧٩) (Al-Maari Without date, P179)، فنصه يتناص مع قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

لجأ المعري إلى تنبيه المتلقي إلى عدم اليَّأس من مغفرةِ الله ورحمتِه، مهما بلغت ذنوبه، ذلك جاء مؤكدًا لقوله من القرآن فاستعان باقتباسِ الألفاظ، ويضعها في نصِّه بصورةٍ صحيحة.

فكما لاحظنا أنَّ المعري أختار أنْ يكون اقتباسه مباشرًا واضحًا؛ ذلك ليُسَّهل على القارئ والسامع فهم النص، ويَدُلُه على الطريق السليم؛ ليشذِّب النفس البشرية، مُؤكّدًا كلامه داعمًا له بتناصّه مع آيات الذكر الحكيم.

٢. **النوع الثاني: (التناص غير المباشر)**: وهو التناصُّ الأكثرُ تعقيدًا من سابقه؛ ذلك لأنَّه يتمُّ استنتاجه من النصِّ من طريق التلميحات التي ستحضر بمعناها لا بحرفيتها (شبل، ٢٠٠٧، ص٨٠) (Shabal, 2007, P80).

ويخضعُ هذا النوع لقانون التناصّ (الامتصاص)، والامتصاص هو المرحلةُ الأعلى من الاجترار، فبسبب أهمية النصِّ وقداستِه يتمُّ التعامل معه كحركةٍ وتحوّلٍ، لا بنفيان النص الأصلي، بل يتمُّ التعامل معه على وفق هذا القانون (كجوهرة قابلة للتجدد) (بنيس، ١٩٨٥، ص٢٥٣) (Bennis, 1985, P253).

وقد وردت أمثلةٌ عديدةٌ لهذا القانون، لكنَّ النصوص ستكون أكثر تعقيدًا، كونُها ممتَّصةً من القول الإلهي ومحوَّرةٌ فيه، فيكون النصّان فيهما اختلاف لكن سيؤديان للمعنى نفسه، ومن أمثلة هذا النوع في (الفصول والغايات) هي:

١. قال المعري : ((وأعُوذُ بِكَ مُنْشِئَ الخَلْقِ مِنْ أُذُنٍ كَأُذُنِ طَوِيِّ الزُّجاجِ الَّذي ماؤُهُ حِبْرٌ وَرشَاؤُهُ يَرَاعٌ ، لَهُ أَرْبَعُ آذَانٍ يُجْذَبُ بِهَا فَيَتْبَعُ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَسْمَعُ ، ومِنْ فَمٍ كالوِجَارِ ما طُرِحَ فِيهِ لَهِمَهُ، وَمِنْ يَدٍ كَيَدِ الصَّبيَّ ، تَبْهَشُ إلَى كُلِّ شَيءٍ)) (المعري، دون تاريخ، ص١٧٣) (Al-Maari Without date, P173)، فهو يمتص قوله تعالى : ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾ [الروم: ٢٧].

فيعوذُ المعري بالله تعالى الذي أنشأ الخلقَ كلَّه، وهذا المعنى ضمَّنه من الآية القرآنية، ليبيّن أنَّ الذي أنشأ الخلقَ بعظمته قادرٌ على أي شيء؛ ((لأنَّ من خلق ما هو أكبر وأعظم فهو قادر على خلق ما هو أصغر بلا شك)) (الشنقيطي، دون تاريخ: ١/٣٤) (Al-Shanqeeti Without date: 1/34)، فمن هذا المبدأ انطلق المعري في تأليف نصّه، وعلى هذا الأساس يطلب من الله عدّة طلبات ويدعوه بأدعيةٍ مختلفة فهو قادرٌ على كُلّ شيء.

٢. قال المعري: ((خَشَعَتْ لَكَ الجِنُّ وَالإِنْسُ، وَحَكَمْتَ عَلَى خَلْقِكَ بالْفَنَاءِ، لا يَخْلُدُ سِوَاكَ شيء؛ فَكُنْ رَبِّ لِي مُعْتَمَدًا)) (المعري، دون تاريخ، ص١٩٧) (Al-Maari Without

date, P197)، فهنا تناص المعري مع القرآن الكريم في آيتين من القرآن الأولى قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، والثانية قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧].

فأخذ فكرتين من الآيتين، وهما فكرةُ الفناء، وعبادةُ الجنِّ والإنس، فأخذَ معنى الآيتين وعبّر عنه بتراكيبٍ اختلفت عن النصِّ الأصلي، ولكنَّ المعنى نفسه، وهذا لا يقدر عليه سوى مَن هو مقتدرٌ باللُّغةِ؛ لأنَّ ((فهم كتاب الله ومعرفة تفسيره ووجوه إعجازه إنَّما هي متوقفة على فهم علوم العربيَّة أولًا)) (المسيري، ٢٠٠٥، ص٢٤) (Al-Messiri, 2005, P24)؛ فالمعنيين متلائمين وممزوجين في قالبٍ لغوي واحد.

٣. قال المعري: ((والدنيا زَائِلَةٌ ولو جَادَتْكَ الذّهابُ ذهبًا)) (المعري، دون تاريخ، ص٧٧) (Al-Maari Without date, P77)، هذا قوله فيه تناص مع قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

فنستشِفَّ من قولِ المعري ومعنى الآية أنَّ الدنيا زائلةٌ، والله تعالى ذكر هذا الزوال منذ نزول القرآن، فالدنيا دارُ متاعٍ وليست دارُ قرارٍ، فينبِّه المعري على عدم اغترار الإنسان بها مهما اغرَّته فمصير كُلُّ شيءٍ الذهاب.

٤. قال المعري : ((غَشِيَتْ رَحْمَةُ اللهِ كُلَّ الْحَيَوَانِ ، وَتَكَفَّلَ بِالرِّزْقِ لِكُلِّ الْمُتَغَذِّيَاتِ)) (المعري، دون تاريخ، ص١٧٥) (Al-Maari Without date, P175)، يعود المعري ليدمج معنى آيتين في نصّه ، فالآية الأولى هي قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر : ٧] ، والثانية قوله تعالى :﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

فالتناصُّ هنا ليس حرفيًّا، لكنَّه مستوحى من الآيات الكريمة، فلم يكرِّر المعري العباراتِ والألفاظَ نفسَها، لكن عند قراءتنا للنصِّ سيُحيلُنا مباشرةً إلى هذه الآيات، فخدمَ التناصُّ

المعري وأعطى نصَّه قوّةً في المُراد والمعنى، فأراد المعري أنْ يوَّسع ذهن المتلقي ويجعله على اطِّلاعٍ أكبر ومعلومات أكثر.

٥. قال المعري: ((يأيته رَسولُ المنية وهو بالجَباب)) (المعري، دون تاريخ، ص٤١) (Al-Maari Without date, P41)، وهذا التناص مع قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

والتشابُه هنا هو في اقتباس المعري غير المباشر قول الله في آيته، فالمعري بيّن أنَّ الموت مدركٌ للإنسان ولو كان في أعلى اشجار النخيل، والآية تبين أنَّ الإنسانَ مدرِكه الموت ولو كان في برجٍ مُشيَّد عالٍ محصَّن، فوجهُ الشبه بين النصيَّن هو المكانُ المرتفع الذي يَصعبُ الوصول إليه.

وهذا التشابه ما هو إلَّا تكرارٌ لنواةٍ ومصدرٍ موجود قبل، فالنص الأوَّل والنص الثاني يشتركان في مقوّمات، والنص الثاني نُسِجَ على مِنوال مقوّمات النص الأول، ليضمنَ تجنيس الخطاب اللاحق مع السابق (مفتاح، ١٩٨٥، ص٢٥) (Miftah, 1985, P25).

٦. قال المعري: ((والمَوْتُ جَامِعٌ بَيْنَ الطِّفْلِ والْهَرِمِ)) (المعري، دون تاريخ، ص٢٥٩) (Al-Maari Without date, P259)، في قوله تناص مع قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

فلم يجزِ الموتُ الطفلَ، وهذا ما استعان به المعري، فذكر أنَّ الموت شاملٌ الجميع، فاندمج النصّان وأعطى النص القرآني الرَّونق والروح التي جعلت من نصِّه نصًّا من أرقى النصوص.

ووردت في الفصول والغايات اقتباساتٍ لألفاظٍ وردت مرَّةً واحدةً في القرآن الكريم، فضمّنها نصَّه، وهذه الألفاظ لم تكن متداولة ومستعملة بكثرة، بل هي نادرة الذكر، ومثالها (يكلأ) و(مجذوذ).

فيقول المعري: ((وَالأجَلُ يَجُذُّنِي، يَقْطَعُ سَبَبِيَ وَيَحُذُّنِي)) (المعري، دون تاريخ، ص٢٢٠) (Al-Maari Without date, P220)، فوردت هذه اللَّفظة في قوله

تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وفسَّرها المعري بالقطع السريع (المعري، دون تاريخ، ص٢٢٢) (Al-Maari Without date, P222) فالمعري يقصدُ بالموتِ يقطعُه أو ينهي حياته، والله تعالى يقصد عطاء غير مقطوع، فمعنى نص المعري يختلف عن الآية الكريمة، لكن بورود هذه اللفظة هنا نلمح التناص بين النصّين.

وقال المعري: ((مَا حَرَسَ رَبَّكَ فَلَا مُحْتَرِسَ لَهُ، وَمَا حَفِظَ أَمِنَ الضَّيَاعَ فَهُوَ حَفِيظٌ، السَّمَاءُ مَتَى أَمَرَ مُطِيعَةٌ لَهُ، والأَرْضُ تَقْبَلُ أَوَامِرَهُ، وَالنُّجُومُ تَابِعةٌ إِرَادَتَهُ، يَكْلَأُ عِبَادَهُ بِعَيْنٍ كَبُرَتْ عَنِ الْقَذَى)) (المعري، دون تاريخ، ص١٩٦) (Al-Maari Without date, P196)، ووردت اللفظة في القرآن كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

لم يفسر المعري لفظة (يكلأ) لكن ورد معناها في المعجم بأنَّها الحفظُ والحراسة (ابن منظور، دون تاريخ: ٨/٢٨٠) (Ibn Manzur, Without date: 8/280)، وهنا النصَّان يشتركان بالمعنى نفسه، فالحراسةُ هي مُشتركةٌ بين ما قاله المعري وبين الآية القرآنية، وأقصد بها الحراسة الربّانية.

الخاتمة:

وخُلاصة هذا الطرح، لا يعني أنَّ (التناص) بالاقتباس إنْ صح التعبير، هو أنْ يختار الشاعر أو الكاتب النص القرآني وينسج على منواله، بل ذلك يأتي رُبَّما عفوًا من خزين ثقافته وعلمه واطِّلاعهِ، ومن استيعابه للقرآن الكريم بكل مفرداته، وهذا ما حصل مع أبي العلاء، فكان اختيار دقيقًا للآيات التي ستقوّي وتؤكِّد نصوصه، فنتج بذلك غاياتٍ فخمةً عميقة المعنى، وذات أهميَّة لدى المتلقي.

المَصَادِر والمَرَاجع:

القُرآن الكَرِيم.

١- ابن منظور، الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (دون تاريخ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٢- الأزدي، أبي علي القيرواني (دون تاريخ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي عبد الحميد، دار الجبل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت – لبنان.

٣- آلان، جراهام (٢٠١١): نظرية التناص، ترجمة: الدكتور باسل المسالمة، دار التكوين للترجمة والنشر، سوريا، الطبعة الأولى.

٤- بنيس، محمد (١٩٨٥): ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية.
٥- الجرجاني، الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر (دون تاريخ): دلائل الإعجاز، قرأهُ وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٦- الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (دون تاريخ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، مطبعة حكومة الكويت.
٧- شبل، د. عزة (٢٠٠٧): علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى.
٨- الشنقيطي، الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (دون تاريخ) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار علم الفوائد.
٩- طودوروف، تزفيطان (١٩٨٧): الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى.
١٠-العسكري، أبي هلال (دون تاريخ): الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية.
١١-الغذامي، د. عبد الله محمد (١٩٩٨): الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر، لهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.
١٢-الفيروزآبادي، العلامة اللُّغوي مجد الدين محمد بن يعقوب (٢٠٠٥): القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة.
١٣-كريسطيفا، جوليا (١٩٩١): علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى.
١٤-المسيري، د. منير محمود (٢٠٠٥): دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى.
١٥-المعري، أبي العلاء (دون تاريخ): الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ، ضَبطه وفسَّر غريبه: محمود حسن زناتي، دار الأفاق الجديدة، بيروت.
١٦-مفتاح، د. محمد (١٩٨٥): تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى.
١٧-ناهم، أحمد (٢٠٠٤): التناص في شعر الرواد (دراسة)، دار الشؤون الثقافية العامية، بغداد، الطبعة الأولى.
١٨-هاينهمن، فولفجانج، وفيهفيجر، ديتر (١٩٩٩): مدخل إلى علم اللغة النصّي، ترجمة: الدكتور فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض.
١٩-الهمذاني، تقي الدين أبي بكر الحموي (دون تاريخ): الخزانة الأدب وغاية الإرب، وبهامشها أبي الفضل أحمد بن حسين الهمذاني المعروف ببديع الزمان الهمذاني.

References:
The Holy Quran.

- Alan, Graham (2011): The Theory of Intertextuality, Translated by: Dr. Basil Al-Masalmeh, Dar Al-Takween for Translation and Publishing, Syria, First Edition.
- Al-Askari, Abu Hilal (without history): The Two Industries: Writing and Poetry, Edited by: Ali Muhammad Al-Bajawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Second Edition.
- Al-Azdi, Abu Ali al-Qayrawani (without history): Al-Umda in the Beauties of Poetry, Literature and Criticism, Edited by: Muhammad Mohi Abdel Hamid, Dar Al-Jabal for Publishing, Distribution and Printing, Beirut – Lebanon.
- Al-Fayrouzabadi, the linguistic scholar Majd Al-Din Muhammad ibn Ya'qub (2005): Al-Qamoos Al Muheet, Heritage Investigation Office, The Resala Foundation, Beirut - Lebanon, Eighth Edition.
- Al-Ghadhami, Dr. Abdullah Muhammad (1998): Sin and atonement from structuralism to anatomical: A critical reading of a contemporary paradigm, by the Egyptian General Authority for Book, fourth edition.
- Al-Hamdhani, Taqi al-Din Abi Bakr al-Hamwi (without date): The Treasury of Literature and the Purpose of Arb, and with its margin Abi al-Fadl Ahmad bin Hussein al-Hamdhani known as Badi al-Zaman al-Hamdhani
- Al-Jarjani, Sheikh Imam Abu Bakr Abd al-Qaher (without history): Evidence of Miracles, read and commented on by: Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Khanji Library, Cairo.
- Al-Maari, Abi Al-Alaa (without history): Chapters and Objectives in Glorifying God and Exhortations, Controlled and Interpreted by His Strange: Mahmoud Hassan Zanati, Dar Al-Horizon Al-Jadeeda, Beirut.
- Al-Messiri, Dr. Munir Mahmoud (2005): Implications of Presentation and Delay in the Noble Qur'an Analytical Study, Wahba Library, Cairo, First Edition.
- Al-Shanqeeti, Sheikh Al-Alamah Muhammad Al-Amin bin Muhammad Al-Mukhtar Al-Jakni (without history) Adhwaa Al-Bayan in Clarifying the Qur'an by the Qur'an, Dar Alam El-Benefits.
- Al-Zubaidi, Mr. Muhammad Mortada Al-Husseini (without date): Crown of the Bride from the Jewels of the Dictionary, edited by: Abdul Karim Al-Gharabawi, Kuwait Government Press.
- Bennis, Muhammad (1985): The Phenomenon of Contemporary Poetry in Morocco, a Structural Formative Approach, Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, Beirut, Arab Cultural Center, Casablanca, Second Edition.
- Heinehmann, Wolfgang, Fehfiger, Dieter (1999): An Introduction to Textual Linguistics, translated by: Dr. Faleh Bin Shabib Al-Ajami, King Saud University, Riyadh.
- Ibn Manzur, Imam Al-Alamah Abi Al-Fadl Jamal Al-Din Muhammad Ibn Makram the African-Egyptian (without date), Lisan Al-Arab, Dar Sader, Beirut.

- Krystifa, Julia (1991): Text Science, translated by: Farid Ezzahi, Toubkal Publishing House, Morocco, First Edition.
- Miftah, Dr. Muhammad (1985): An Analysis of Poetic Discourse, Intertextuality, Arab Cultural Center, Casablanca, first edition.
- Nahim, Ahmad (2004): Intertextuality in the Poetry of the Pioneers (a study), Colloquial Cultural Affairs House, Baghdad, first edition.
- Shebel, Dr. Azza (2007): Textual Linguistics, Theory and Practice, Literature Library, Cairo, first edition.
- Todorov, Tzvitan (1987): Poetry, translated by: Shukri Al-Mabhout and Raja Bin Salama, Toubkal Publishing House, Morocco, First Edition.